المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

بعد عودة السيد من اورشليم

ولما عاد السيد من اورشليم كان قد قطع في نفسه كل علاقة بمذهب اليهود واخذ يستعد للعمل العظيم الآتي وهو انشاء ملكوت الله . وكان قد عزم عليه وان ذهب فدى الناس وفداه . ذلك ان ملكوت الله لا يُنشأ من غير مقاومة ومناهضة ولذلك كان لا بدَّ من المقاومة والمناهضة . وكان روح الله فيه يملأه قوة ونشاطاً . وكان الله في نظره ابًا لكل الناس وكل واحد عليه ان يدعو الله « اباه » في صلاته . فبهذا التعليم وثب السيد وثبة واحدة عن الحفرة القائمة بين المخلوق والخالق ووصل اليه

وكانت نبوءات الانبياء عن قدوم السيد شائعة بين اليهود ولكن المجامع لم تكن قد احصتها في صفحة واحدة ولذلك كان اليهود يطبقون اقوال الانبياء على الحالة في تلك الايام. اما العجائب فكان في السامرة رجل ساحر يُدعى سمعان وهو يصنع شيئاً كثيراً منها . وقد كان صنع العجائب امرًا شائعاً في القديم . فان الفلاسفة الاسكندريين ومنهم بلوتين كانوا يزعمون انهم يصنعون العجائب وقد روى ذلك اونابوس وبورفيروس . وكان صنع العجائب محسوبًا امرًا اعتياديًا لان كل رجل فيه روح الله كان في اعتقادهم قادرًا على ان يصنع شيئاً منها

وكانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم (كذا) فان اليهود في

فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ. وكان من الشائع في كل العالم لا في عالم اليهود فقط ان الشياطين تدخل في بعض الناس وتجعلهم يعملون بالرغم عنهم اشياء يكرهونها . ومن ذلك شيطان ورد ذكره في نقاليد الفرس وهو الذي يدخل في النساء ذوات الاميال غير المعتدلة . وقد اخذ اليهود ذلك عنهم وورد ذكر هذا الشيطان في سفر طوبيا . فهذا الشيطان صار سبباً في اثارة نفوس النساء اليهوديات وانشاء الهستيريا وغيرها من الامراض العصبية فيها . وكان قد ظهر قبل ذلك باربعة قرون ونصف كتاب لابوقراط ابي الطب موضوعه « العلة المقدسة » يعني الهستيريا وفيه وصف اسباب هذه العلة وذكر دوائها . الا ان اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب . وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئاً عن شدة الحماس الديني الذي اشعل النفوس . وكان هؤلاء المجانين يأوون الى المغاور والخارب في الجبال والاودية وكان قليل من الرفق واللين كافياً لشفائهم . ولا يزال الناس في سوريا حتى عصرنا هذا يسمون « مجنوناً » كل من كان في افكاره شيء من الغرابة (كذا) . وفي اصطلاحاتهم في الحديث قولهم لمن لا يعجبهم رايه : انتَ مجنون

ملكوت الله

اما مدة بقاء السيد في العمل فان الانجيلي يوحنا يجعلها سنتين او ثلاثاً . ومهما يكن من الامر فانها لا تتجاوز سبع سنوات لان بيلاطس قد عُزل قبل عيد الفصح من عام ٣٦ للميلاد . وكان السيد يكرز باقتراب ملكوت الله . والمراد بذلك على ما في الانجيل قدوم السيد لدينونة الناس في نهاية العالم . وطريقة ذلك ان يُقسم البشر قسمين قسم الصالحين وقسم الاشرار . اما الصالحون فيدخلون الى الاماكن الهنيئة المعدة لهم منذ ابتداء العالم وهناك يلبسون النور ويجلسون على مائدة ابرهيم . اما الاشرار فانهم يذهبون الى « جهنم » وجهنم هذه هي وادٍ في غربي اورشليم . وكان اليهود يوقدون النار اولاً في هذا الوادي ويحتفلون بذلك على سبيل العبادة . ثم صار الوادي مكاناً للاقذار والنجاسة

ومهما يكن من هذا الامر فان السيد بنى ملكوت الله وهو يكرز تلك الكرازة . وهذا الملكوت الحقيقي هو ملكوت العقل الذي يجعل كل انسان ملكاً وكاهناً معاً والذي كان كحبة الخردل زُرعت في الارض فانبتت شجرة عظيمة . هذا الملكوت هو : روح الله

يرفرف على الارض بعد مجيئه . وخطبة السيد على الجبل . وتقوية الضعفاء بذكر الغبطة والسعادة الابدية . ومحبة الشعب . والميل الى الفقير . واعلاء شان كل ما هو حقير ومتواضع وبسيط وصحيح . وقد تمّ هذا العلو وسيدوم بعده الى الابد . وكل واحد من البشر مديون له بافضل ما في نفسه من المبادىء الشريفة

اما مسالة انتهاء العالم واقتراب هذه النهاية فمسالة صفقت لها الانسانية طرباً في ذلك الزمان . فانه اول ما قيل لها ان قد حان اجل كرتك الارضية اقتبلت هذا الخبر بابتسام كالابتسام الذي يقتبل به الاولاد الموت وصارت مسرورة بهذه النهاية سروراً ما بعده سرور . اما العالم فانه كان يزداد تمسكاً بالحياة كلما ازداد ايغالاً فيها ولذلك كان يوم الخلاص الذي كانت تنتظره نفوس الجليليين الطاهرة بشوق وسرور معتبراً من تلك الاجيال الحديدية التي كانت تخشن كلما طالت عليها الحياة كيوم غضب وحرمان

ولكن مع اعتقاد المسيحيين الاولين بقرب انتهاء العالم يومئذ كان فيهم كثيرون يحاربون شرور العالم باسم الانجيل ويطلبون اصلاح الحالة استناداً الى مبادئه . وسيبقى مبدأ « ملكوت الله » اعظم المبادىء المحركة على طلب الاصلاح في كل مكان الى ما شاء الله . اما الاشتراكيون الذين يطلبون اصلاح الارض اليوم فانهم يبقون عاجزين عن انفاذ اصلاحهم ما لم يلجئوا الى افكار المسيح نفسها ويعملوا بها . فانهم يطلبون بناء على مبداء مادي غليظ امراً مستحيلاً وهو جعل جميع الناس سعداء ولذلك لا ينجحون . وانما ينجحون متى عملوا بقواعد المسيح وهي ابتغاء اعلى صورة للكمال في الارض لا خيرات الارض . وهذا المبدأ يوجب على طالبي اصلاح الارض التخلي عنها وعن خيراتها لا الاستيلاء عليها

ومن جهة اخرى فانه ربما كانت كلمة « ملكوت الله » تعزية واي تعزية للذين يرون فساد العالم الآن ويعتقدون بحدوث تغيير فيه في مستقبل الزمان . فان الذين لا يقدرون على الاعتقاد بوجود عنصرين مستقلين في جسم الانسان لان هذا الاعتقاد مناقض لعلم الفيسيولوجيا يطيب لهم ان يؤملوا بحدوث تغيير عظيم في نهاية العالم وينتظروا في القرون الآتية عالماً صالحاً يكون صلاحه جائزة للبشر على ما احتملوه من الشقاء والفساد في حياتهم الماضية . ومن يعلم اذا كان ذلك لا يتم في بضعة ملايين من القرون فتنتبه حينئذ في الارض كل المبادىء الصالحة ويصير البشر كالملائكة . ان مليون سنة تمرُّ كساعة تمر . وقد قال القديس بولس « هوذا سرٌّ اقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الاخير فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير » (كورنثوس

الاصحاح ١٥ العدد ٥١ و٥٢)

فيومئذ يُنتقم للصالح من الشرير . يومئذ تسود في الارض انسانية فاضلة كريمة يكون فيها المقام الاول للفضل والفضيلة لا للقوة والمال ويكون فيها ابن الفقير الفاضل حاكماً وصدرًا . يومئذ تظهر صورة السيد اكثر جلاءً ويخجل كل الذين نظروا تلك الصورة المؤلفة من الفقر والتواضع والفضيلة ولم يؤمنوا بها وكل المتكبرين الذين آمنوا بها ولكنَّ انانيتهم وكبرياءهم وطياشتهم منعتهم من العمل باوامرها

روح الانجيل

وكان التلامذة يومئذ لا يكتبون شيئًا من اقوال السيد لان « ملكوت الله » صار قريبًا فلا حاجة الى الكتابة . وكان من اجمل اوقاتهم وقت الجلوس الى مائدة الطعام . فان السيد كان يحادث كل واحد منهم على المائدة . وكان من عادات اليهود ان ياخذ كبير البيت الخبز ويباركه بصلاة وجيزة ثم يكسره ويقدمه الى كل واحد من الجالسين . وكذلك الخمر . ولا تزال هذه العادة عند الاسرائيليين الى هذه الايام . وقد غالى الايسينيون في ذلك فجعلوا للمائدة احتفالاً وطقوساً خصوصية . وكان اذا اكل بضعة من الرجال الخبز معاً عُدَّ ذلك بمثابة رباط يربطهم بعضهم ببعض بسبب هذا الاشتراك (١) وكان السيد يكسر الخبز على هذا الوجه ويناوله الى تلامذته . وكان يقول لهم انا غذاؤكم الروحي لانه سيدهم ومعلمهم . ولما كان يناولهم الخبز والخمر كان يقول لهم هذا جسدي وهذا دمي

وكانت هذه المعيشة المبنية على انتظار « ملكوت الله » مما يزيد التلامذة انقطاعاً عن الارض وكراهة للعالم . فكان الميل لاقتناء الملك في الارض يُعتبر نقصاً في النفس وكل ما يُبعد الانسان عن السماء يجب ان يُنبذ نبذًا . وكان بعض التلامذة متزوجين الا ان التلميذ العازب بعد اتباعه السيد لم يكن يتزوج على الارجح لان العزوبة كانت مفضلة على الزواج . وكان يجب على الذين يدخلون في سلك التلامذة ان يتركوا كل شيء في العالم حتى النفس والاب والام والاخوة والمال ويتبعوا السيد . ومن المبادىء المسيحية : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر . واذا اعثرتك عينك فاقلعها . ودع الموتى

(١) وفي الشرق يقولون اليوم « من اكل خبزًا وملحًا مع انسان وجب عليه ان لايخونه » وذلك لان هذا الاشتراك يوجب الصداقة والامانة . ومن اقوالهم « تفضل ومالحنا » يدعون به الى مائدة الطعام والصداقة

يدفنون موتاهم وغير ذلك من المبادىء السامية التي هي عبارة عن اعلى صورة للكمال البشري . ولكن سمو هذه المبادىء الكريمة وعلوها كانا لا يخلوان من خطر على المستقبل . فانها تجعل الانجيل كتاباً كريماً بالغاً من الكمال درجة قلما يهتم كثيرون من الناس بالوصول اليها و بناء عليه تبقى تلك المبادىء غير معمول بها حتى من الاكليروس نفسه . وفضلاً عن ذلك فانه اذا رام احد من الناس الرجوع الى الانجيل والعمل بمبادئه و بروحه عدّ الاكليروس عمله ذا خطر على الناس . واذا قام ملك وكان اكثر الناس تكبراً وتجبراً واشدهم حباً للمصلحة واكثرهم قسوة مثل لويس الرابع عشر مثلاً فانه يجد من الكهنة من يقنعه بالرغم عن الانجيل انه مسيحي لا شك فيه . ولكن كما يقوم اناس كهؤلاء يقوم ايضاً اناس للعمل بمبادىء الانجيل حرفاً بحرف فيضطرون الى المعيشة خارج الهيئة الاجتماعية في الصوامع والديور كما يصنع الرهبان .

بدء مقاومة السيد

ولما بلغت اعمال السيد الى انتيباس والي الجليل رام مشاهدته فرفض السيد ذلك لكراهته الدخول في المسائل السياسية وانصرافه الى تعليم الشعب واستمالته دون سواه . ولكن انتيباس لم يلبث ان سمع من الناس ان السيد هو يوحنا المعمدان وقد بعثه الله فاضطرب انتيباس لذلك ورغبة في ان يخرج السيد من ولايته بعث اليه بعض الفريسيين يقولون له ان انتيباس عزم على القاء القبض عليه وقتله كما قتل يوحنا المعمدان فلم يعبأ السيد بهم ولا بحيلتهم . اما انتيباس فانه لما رأى بساطته وكراهته لاثارة خواطر الشعب اطمأن باله وعدل عن اضطهاده

اما الفريسيون فانهم كانوا يقاومون السيد و يعارضونه معارضة شديدة فكان يجب مقاومتهم مقاومة شديدة ايضاً . ومن المشهور عن اليهود ان من صفاتهم شدة الوخز في الجدال والمناظرة حتى انه لم يقم يوماً بين الناس مناظرات شديدة كالمناظرات التي كانت تقوم بينهم . وكانت الشدة ضرورية في هذه الحالة لمقاومة القوة بالقوة . ومما لا يحتاج الى بيان ان لوثيروس ورجال الثورة الفرنسوية لو لم يُظهروا شدة وعنفاً في اعمالهم لما كانوا قد عملوا شيئاً

وكان هؤلاء الفريسيون قوماً يراعون الظواهر الدينية دون البواطن . وكانوا اقساماً . فمنهم فريق يُدعى « نيكفي » وهم الذين يسيرون في الشوارع ويجرون اقدامهم جراً و يصدمون بها الحصى والحجارة . ومنهم فريق يدعى « كيزاي » اي ذوي الجباه الدامية

وهم الذين كانوا يسيرون في الشوارع مغمضي العيون. لئلا يقع نظرهم على النساء ولذلك كانوا يصدمون الجدران في مشيهم فتدمى جباههم . ومنهم فريق يُدعى « ميدوكيا » وهم الذين كان كل واحد منهم يعيش مطوياً قسمين . ومنهم فريق يُدعى « شيكي » اي ذوي المناكب القوية وهم الذين يسيرون وظهورهم محنية كانهم يحملون عليها اثقال الناموس كلها . ومنهم فريق يُدعى « اي عمل يجب عمله لاعمله » وهم الذين كانوا يطلبون قواعد الناموس في كل مكان للعمل بها

ولكن الفريسيين لم يكونوا في الحقيقة يعملون بالقواعد التي تقدمت ولا بقواعد الناموس بل كانوا يُظهرون انهم يعملون بها . اما الشعب فكان ينخدع بهم و يصدق اقوالهم . ذلك ان الشعب سهل الانخداع خصوصاً متى كان لرؤسائه مصلحة في خداعه فانه يرى فيهم اموراً جديرة بالحب فيحبها ولكنه لا يرى ما تحت هذه الامور من الحقيقة الهائلة

فبناء على ذلك كان لا بدَّ من قيام النفور بين نفس السيد الكريمة البسيطة ونفوس الفريسيين الجافة اليابسة . فان السيد كان يدعو الى ديانة مبنية على نقاء الباطن وصفاء القلب اما الفريسيون فكانت ديانتهم عاداتهم وطقوسهم الاعتيادية . وكان الفريسي في اعتقادهم رجلاً معصوماً عن الخطاء فاذا جادل كان الحق في جانبه دائماً واذا دخل الى المجالس طلب المجلس الاول واذا مشى في الشوارع راقب الناس اذا كانوا يحيّونه ام لا واذا تصدق بشيء بوق بصدقته تبويقاً . ولقد قام كثيرون من كرام اليهود لمقاومة هولاء الفريسيين منهم يشوع بن سيراخ وغمالائيل وانتيكون دي سوكو والرجل الكريم اللطيف الفيلسوف هلل وكلهم علموا تعليماً سامياً يكاد يكون انجيلياً . ولكن الفريسيين استطاعوا خنق تعاليمهم وحرموا من يقرأها . وكانت قاعدة مبادىء الفيلسوف هلل ان الناموس الحقيقي هو العدالة والحق . وقاعدة مبادىء يشوع بن سيراخ ان الديانة الحقيقية هي عمل الخير في العالم

الا ان مبادىء شماي تغلبت على هذه المبادىء العالية وقوي الفريسيون وانصارهم فكان من نتيجة هذه القوة نشأة كثير من التقاليد والعادات التي غطت الناموس الاصلي فلم يعد ظاهراً معها . ولا يُنكر ان ذلك قد كان مفيداً من جهة حفظ التقاليد اليهودية قروناً عديدة لتكون خميرة الديانة المسيحية ولكن المجامع التي كانت امَّ تلك التقاليد لم تعد بعد استفحالها الا امَّ الخطاء والضلال . ولذلك كان قد قُضي عليها بالسقوط ان لم يكن

بالاضمحلال . ومع ذلك فقد كان من الظلم ان يُطلب منها حينئذ ان تُنكر ذاتها وتتنازل عن سلطتها من تلقاء نفسها لان ذلك امر لا يصدر عن البشر في هذه الحياة

وبناءً على ذلك كانت المقاومة مستمرة بين السيد وبين الرياء الفريسي الرسمي . ومما كان يُضعف حجج الفريسيين ابتعادهم يومئذ عن التوراة ابتعاد المسيحيين عن الانجيل في هذا الزمان . فنشأ عن ذلك في نفوس الفريسيين بغض للسيد لا ينتهي حتى الموت . فانهم تركوا الشعب يسمي يوحنا المعمدان نبيًا اذ كان امره صغيرًا اما السيد فان روحه كانت تنقض اساس هيئتهم نقضاً ولذلك كان الخلاف بينهم للموت . ومما كان يفقدهم الرشد سهام التهكم الحادة التي كان السيد يرشقهم بها . فان هذه السهام كانت تصيب قلوبهم . واذا قيل من الف هذه الامثال البديعة المملوءة تهكمًا قاتلاً وتلك العبارات الغاصة بسهام حادة تنفذ في لحم المرائين كانها صُنعت من نار ومَن علقها في ذيول الفريسيين وجعلهم يجرونها وراءهم منذ ١٨ قرنًا الى اليوم . فنجيب ان السيد هو الذي صنعها وعلقها . فيالكِ من تهكمات هائلة هدمتْ عالَمًا وقتلت امة . ان سقراط ومولبير قد رشقا بسهام ولكن سهامهم كانت تخدش الجلد خدشاً . اما هذه السهام فكانت تغوص الى القلوب وتضع النار واليأس فيها . فلا ريب ان هذه الضربات ضربات اله

سفره الاخير الى اورشليم

وقد كان السيد يرى الخطر الذي على حياته من الفريسيين ولذلك اقام ١٨ شهرًا في الجليل دون ان يسافر الى اورشليم . وكان الفريسيون قد حاولوا جره الى الامور السياسية في الجليل ليتخذوها حجة لدى انتيباس والحكام الرومانيين الا ان السيد تغلب على مكرهم هناك . ولكنه كان يرى انه اذا بقي في الجليل لم يستطع ان يتمّ عمله لان اورشليم مركز كل عمل فراي بالرغم عن الخطر وجوب السفر الى اورشليم فعاد اليها مع تلامذته للتعليم في الهيكل ومناظرة الفريسيين

وقد اختار السيد في اورشليم ثلاثة مواضع للاستراحة فيها من عناء مباحثة الفريسيين . الاول وادي « الجثمانية » التي ربما كان معناها معمل الزيت وكان سكان اورشليم يتخذون هذا المكان للتنزه فيه في كل مساء . والموضع الثاني جبل الزيتون وكان السيد يصعد اليه بعد التنزه في الجثمانية ويصرف الليل فيه . اما هذا الجبل فهو قائم في شرقي المدينة وهو المكان الوحيد الذي يظهر فيه الخصب والنبات في اورشليم . فقد كان فيه وفي ما جاوره من القرى

كبيت فاجي والجثمانية وبيت عنيا اشجار كثيرة من الزيتون والتين والنخيل . وكان في الجبل ارزتان كبيرتان كانت تعشش فيهما طيور الحمام و يبسط الباعة تحت اغصانهما بضائعهم للبيع والشراء . وقد حفظ اليهود بعد تشتت شملهم تذكار هاتين الارزتين

ففي هذه الاماكن كان يقيم السيد وتلامذته . اما الموضع الثالث الذي كان يتخذه لراحته فهو قرية بيت عنيا . وهذه القرية قائمة على احدى الآكام المشرفة على الاردن والبحر الميت وهي على مسافة ساعة ونصف من اورشليم . وكان السيد يفضل الاقامة في هذه القرية الجميلة على ماسواها وفيها تعرف بمرتا ومريم ولعازر . وكان السيد اذا اقام في الاماكن التي نقدم وصفها نسي شيئاً من عناء المجادلات الشاقة مع الفريسيين المرائين . وكان اذا اشرق الفجر وطلعت الشمس على جبل الزيتون تنثر تبرها الجميل عليه وقف السيد متاملاً في تلك المناظر البديعة التي حوله فيسر بها سروراً يخالطه شيء من تذكار مؤلم . فالتفت حينئذ الى اورشليم ويخاطبها قائلاً :

« يا اورشليم يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اضم اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدي »

وليس المقصود بذلك ان الشعب اليهودي في اورشليم لم يكن يقبل تعاليم السيد لانه اغلظ نفساً من رجال الجليل كلا ولكن التعاليم الفريسية الرسمية كانت تضغط على النفوس الى حد انه لم يكن احد من الناس يجترئ على التصريح بذلك . وفضلاً عن هذا فان اليهود كانوا يخشون اذا تبعوا السيد ان يُقال انهم خضعوا لرجال من الجليل ولا يخفى ان بلاد الجليل كانت بلاداً مكروهة في اورشليم كما تقدم . ومن جهة اخرى فان اتباع السيد كان يفضي الى الطرد من المجامع (المعابد) والحرمان من الحقوق الدينية . وهذا الحرمان يستوجب في الشريعة اليهودية حجز الاملاك وفي ذلك ما فيه من الاهانة والخسارة . وزد على ذلك ان الذي كان يخرج من اليهود لم يكن له ان يصير رومانياً بل يبقى بلا حام ولا نصير تحت ضربات سلطة جائرة . وفي ذات يوم جاء اصاغر حراس الهيكل الى كهنتهم بعد ان سمعوا احدى عظات السيد واطلعوهم على ما قام في نفوسهم من الشكوك وعن رضي الشعب عن تلك التعاليم فاجابهم كهنتهم « هل رايتم احداً من الرؤساء او من الفريسيين آمن به . ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »

اما السيد فانه كان يجدّ في الوعظ وتعليم الشعب في الهيكل . وكانت سلطته آخذة في التعاظم والازدياد والشعب يقبل تعاليمه السامية البسيطة دون ان يُظهر التسليم بها

خوفاً من رؤسائه . ففي ذات يوم جاءه الفريسيون بزانية وسالوه بماذا يجب ان تعامل وقد ظنوا انهم بذلك يظهرون ضعف تعاليمه امام الشعب . فاجابهم السيد بذلك الجواب الهائل الذي كان كسهم اخترق الرياء وغاص في قلوبهم . فقد قال لهم « من كان منكم بلاخطيئة فليرمها بحجر » ومنذ هذه الكلمة اضمروا له الشر ونووا قتله ليستريحوا من مقاومته . ولا غرو فان الحمقى يكرهون العظمة اشد كراهة ولا سيما اذا اقترنت بفصاحة اللسان وبلاغة الجنان

وكانت همة الفريسيين مصروفة الى جعل السيد يتداخل في الامور السياسية ليتخذوها حجة عليه لدى اسيادهم الرومانيين كما تقدم . فجاءه بعضهم في ذات يوم مظهراً الحب له وقالوا « يا معلم . نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحدٍ لانك لا تنظر الى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . ايجوز ان تُعطى جزية لقيصر ام لا » وكانوا يتوقعون عند هذا السؤال ان يجيب السيد عنه جواباً يوجب تسليمه الى بيلاطس لقتله كما قُتل يهوذا الغولونيتي الذي كان يحرّم دفع الجزية للرومانيين كما تقدم . اما السيد فانه اجاب جواباً بديعاً . فانه قال لهم اروني اولاً النقود فاروه ديناراً فسالهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتين على الدينار فاجابوه انها لقيصر . فقال السيد . اذاً اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فما اسمى هذه الكلمة في هذا المقام . فان السيد وضع بها اساس الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية وبنى بكلماتها دعائم مستقبل الديانة المسيحية

وكانت بلاغته الالهية تحضره كلما رام محاربة الرياء والمرائين كما تدل على ذلك الاقوال الآتية التي فاه بها في الهيكل . وجدير بالناس في كل مكان ان يتأملوا هذه الحكم الرائعة . وهي

« على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فاعملوا حسب اقوالهم ولكن لا تعملوا حسب اعمالهم لانهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يُريدون ان يحركوها باصبعهم . « وهم يعملون كل اعمالهم لكي تنظرهم الناس فيعرّضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الاول في الولائم والمجالس الاولى في المجامع والتحيات في الاسواق وان يدعوهم الناس سيدي سيدي . فالويل لهم

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم اخذتم مفتاح المعرفة ولم تستعملوه الا لاغلاق ملكوت السماوات فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم يامن تاكلون بيوت الارامل باطالة صلواتكم ولذلك تكون دينونتكم على قدر ذلك . ويل لكم

يا من تطوفون البحر والبر لتضموا اليكم رجلاً واحداً ومتى حصلتم عليه تصنعونه ابناً لجهنم . ويل لكم لانكم مثل القبور المستورة والذين يمشون عليها لا يعلمون

« ويل لكم ايها المراؤون والعميان لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون افضل ما في الناموس اي الحق والرحمة والايمان . فقد كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم ايها القادة والعميان الذين يصفون الكاس عن البعوضة حالة كونهم يبلعون الجمل

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوآن سرقة وشراهة . ايها الفريسي الاعمى (١) نقِ اولاً داخل الصحفة لكي يكون خارجها ايضاً نقياً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة . انتم من خارج تظهرون للناس ابراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً واثماً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آبائنا لما شاركناهم في دم الانبياء . فانتم اذاً تشهدون على انفسكم بانكم ابناء قتلة الانبياء . فاتموا اذاً عمل آبائكم فقد جاء في حكمة الله « ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وعلماء فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يقع عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم ذكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق اقوله لكم ان هذا كله يقع على هذا الجيل »

واشد ما كان يغيظ الفريسيين في هذه التعاليم امران . الاول ان ملكوت الله آخذ في الانتقال من اليهود الى باقي الامم لان اليهود يضطهدون ويقتلون الانبياء والرسل الذين جاءوا ليرشدوهم اليه . والامر الثاني دعوة السيد الفقراء والصغار الى احتلال محل الكبراء لتابيد ملكوت الله . وقد كان يقول انه جاء الى هذا العالم ليفتح عيون الذين لا يبصرون ويعمي الذين يبصرون (يوحنا الاصحاح ٩ العدد ٣٩) ولكنه في ذات يوم بدرت من فمه هذه العبارة عن الهيكل « انني اهدم هذا الهيكل الذي بنته يد الانسان وابني في ثلاثة ايام هيكلاً آخر غير مصنوع بالايادي » فتمسك الفريسيون بهذه الكلمة لانهم اعتبروها

(١) ربما كان في كلمة « الاعمى » اشارة الى فريق الفريسيين ذوي الجباه الدامية الذين ورد ذكرهم في الصفحة ٣٠٦ السطر ١

تجديفاً على الهيكل واتخذوها حجة لشكواه الى الحكومة . وكانت حكومة الرومانيين توجب احترام الديانة اليهودية وتنفذ القرارات التي يصدرها رؤساؤها

مساعي اعداء السيد

وقد صرف السيد فصل الخريف وقسماً من الشتاء في ذلك العام في اورشليم وكان البرد شديداً فيها . وكانت اقامته في رواق سليمان في الهيكل . وبعد شهر دسمبر من ذلك العام ساح سياحة في بلاد بيريا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد . فوجد سروراً وراحة في هذه السياحة ولا سيما في مدينة اريحا . وكانت هذه المدينة قائمة في طرف طريق عمومية كبرى وفيها كثير من الحدائق والحقول الخصيبة ولذلك اقام الرومانيون فيها جمركاً كبيراً . وكان رئيس هذا الجمرك رجلاً غنياً وهو العشار زكا فاحب مشاهدة السيد . وبما انه كان قصير القامة صعد الى جميزة ليراه منها في مروره . ولما درى السيد به رام النزول في بيته دون ان يعبأ بكراهة اليهود للعشارين كما تقدم . اما واحة اريحا فقد كانت بقعة من اجمل بقاع سوريا يومئذ وقد وصفها يوسيفوس معجباً بخصبها كما اعجب ببلاد الجليل ولقبها « البلاد السماوية »

وبعد ان زار السيد البلاد التي عمد فيها يوحنا المعمدان والتي كان فيها مبدأ تعليمه عاد الى بيت عنيا حيث كانت تطيب له الاقامة وبعد اعجوبة لعازر عاد الى اورشليم

اما الفريسيون فانهم كانوا في اثناء ذلك يتباحثون في شانه . وقد جمع رؤساء الكهنة في شهر فبراير او في اوائل مارس من ذلك العام مجمعاً وطرحوا فيه هذه المسالة «هل في الامكان بقاء الديانة اليهودية اذا بقي يسوع حياً » واحياناً قد يكون في السؤال جواب ولذلك لم يلبث رئيس الكهنة ان قال « لا باس ان يموت واحد لتحيي الامة كلها »

وكان رئيس الكهنة يومئذ يوسف قيافا وقد رقاه الى هذا المنصب الحاكم الروماني فالاريوس كراتوس ولذلك كان مخلصاً للرومانيين . وقد ثبت هذا الرجل في رئاسة الكهنة من عام ٢٥ للميلاد الى عام ٣٦ . اما سلطة هذا الرئيس فقد كانت اسمية على الارجح . لانه كان فوقه رجل يُدعى حنانيا او اناس وهو شيخ كان رئيساً للكهنة ثم فُصل وتزوج قيافا بابنة له . ولكنه مع انفصاله عن رئاسة الكهنة بقيت له سلطة كبرى عليها وبقي الشعب يناديه « رئيس الكهنة » وكانوا يستشيرونه في كل المسائل الهامة . ومما زاد سلطته ان رئاسة الكهنة بقيت في اسرته مدة ٥٠ سنة وكان قيافا الرئيس الحقيقي صهراً له .

ولذلك كان يرد اسماهما معاً في هذه الحوادث وكثيراً ما كان يرد اسم العم مقدماً على اسم الصهر . وقد ذكر يوسيفوس ان هذه الاسرة كانت مشهورة بالقسوة في الاحكام ومما يجدر ذكره ان الذي حكم برجم يعقوب اخي السيد هو من ابنائها . وبناءً على ذلك تكون تبعة الحوادث القادمة على حنانيا لا على قيافا . وهو الذي يجب ان يحمل على عاتقه لعنة الانسانية اكثر من بيلاطس وقيافا

وكان جمهور الاكليروس اليهودي راغباً في وضع حد لهياج الشعب وثورة الافكار . ذلك انهم توقعوا من وراء هذا الهياج استفحال سلطة الرومانيين في بلادهم ومتى استفحلت تلك السلطة هدمت الهيكل وقطعت رزقهم . ولا ريب ان الاسباب التي دعت الى خراب الهيكل بعد مرور ٣٧ سنة على هذا التاريخ لا علاقة لها بالامر الذي نقدم ولكن خوف الفريسيين من انقلاب الاحوال كان عظيماً . ولو قبل اليهود يومئذٍ تعاليم السيد لسقط الهيكل وسقطت امتهم معه . ولذلك قال حنان وقيافا « خير ان يموت واحد من ان تموت الامة كلها » ولكن هذا الحكم فظيع وهائل . ويسوءنا ان نقول ان جميع الاحزاب المحافظة التي تسمي نفسها « حزب النظام والامن العام » تحكم احكاماً كهذا الحكم . فانها تعتبر ان اكبر واجبات الحكومة منع تاثر الشعب وهياجه بكل الطرق ولذلك لا يقوم احد قادر على الحركة الا ونقف في وجهه ولو افضى الامر الى سفك دمه . وهي بذلك تشهر حرباً على كل ذي اقدام وكل ذي فكر وتجهل ان هذا الفكر لا بدَّ ان ينتصر . ومما لا يحتاج الى بيان ان الحركة السامية التي كان يديرها السيد كانت حركة روحية لا علاقة لها بالسلطة الزمنية ومع ذلك فقد كانت هذه الحركة كافية لاثارة اوهام الرجال الذين يسمون انفسهم رجال النظام والهدوء لانها حركة . ولذلك صنعوا ما صنعوه

وكان هؤلاء الرؤساء قد قضوا على السيد بالموت منذ شهر فبراير ومارس ولكن السيد كان قد سافر مع تلامذته الى مدينة تُدعى افراين او افرون وهي بلدة على حدود البرية في جهة بيتل على مسافة يوم من اورشليم . وقد صرف السيد في هذه القرية بضعة اسابيع مع تلامذته لعل الزوبعة في اورشليم تسكن قليلاً . ولكن الزوبعة لم تسكن لان الرؤساء اصدروا الامر بالقاء القبض على السيد حينما يُشاهد في الهيكل . ذلك ان عيد الفصح اليهودي كان قريباً وكانوا يعلمون ان السيد سيصرفه في اورشليم

(ستاتي البقية وفيها الخاتمة)

عبرة لاغنياء الشرق والغرب

﴿الفريد نوبل مخترع الديناميت وجوائزه﴾

(غني يوصي بجميع ماله للعلماء)

سيبقى النزاع قائماً بين الاغنياء وغير الاغنياء الى ما شاء الله. فغير الاغنياء يقولون « ان الاغنياء يجمعون الاموال بوسائط شريفة وغير شريفة واحياناً يسلكون اليها كل سبيل ثم لما يجتمع منها لديهم ما يكفيهم ويكفي اولادهم واولاد اولادهم بعدهم الى آخر العمر ينقلبون على الهيئة التي جمعوا تلك الاموال منها ويعاملون بني جنسهم بالكبرياء والغلاظة والدناءة بدلاً من ان يشكروهم على جهلهم ويحمدوا الهيئة الاجتماعية على تراخيها لانها تركت اناساً مثلهم يجمعون ما جمعوا » وبعض الاشتراكيين في اوربا قد تطرفوا فقالوا بوجوب فحص دفاتر كل الاغنياء لمعرفة مصادر ثروتهم واسترداد كل ما كسبوه منها بطرق غير مشروعة. غير ان بعضاً من الساسة طرفوا في هذا الشان باباً آخر معقولاً. فان البرلمان الفرنسوي قرر منذ بضعة اشهر نظاماً جديداً فحواه ان الاب الغني متى مات ورث منه ابنه مليون فرنك وما زاد على هذا المليون من التركة تستولي الحكومة على نصفه او ثلثيه وتعطي الباقي للوارث. فاذا كانت ثروة الاب مائة الف جنيه مثلاً اخذ ابنه قبل كل شيء مليون فرنك منها اي ٤٠ الف جنيه والستون الف جنيه الباقية تقسم مناصفة بينه وبين خزانة الحكومة. اما اذا كانت ثروة الاب لا تزيد على مليون فرنك فان الحكومة لا تمد يدها اليها. — ولقد وافق اعضاء مجلس النواب على هذا النظام بعضهم لنكاية اغنياء الاسرائليين في فرنسا وبعضهم لمقاومة الحكومة لانها كانت تنكره. والراجح ان مجلس الشيوخ سيعترض عليه ويرفضه

واما الاغنياء فانهم يردون على غير الاغنياء بقولهم « هل جئنا بالاموال من بيوت آبائكم حتى تحسدونا عليها. ام وجدناها على الطريق غنيمة باردة. الا تعلمون اننا نقاسي في جمعها عرق القربة ونصرف العمر ونحن نطلبها ونركض وراءها. فما الذي يمنعكم من ان تقتدوا بنا وتصنعوا صنعنا »

ولا يخفى ان في كل قول من هذين القولين شيئاً مقبولاً معقولاً. ولا نظن احداً من الناس ينكر على الاغنياء حق التصرف المطلق في اموالهم سواء كانوا جمعوها بطرق شريفة

او غير شريفة . فلهم ان يبذلوا منها ولهم ان يمنعوها . ولكنا ايضاً لا نظن احداً ينكر على الناس اظهار استيائهم من الاغنياء اذا كانوا لا يخصصون جزءاً من النعمة التي اخذوها من الهيئة لمساعدة تلك الهيئة وهو ما يسميه رجال الدين الواجب الديني ويسميه الفلاسفة الواجب الادبي . وسيبقى هذا النزاع بين الاغنياء وغير الاغنياء حتى يُدرك اولئك هذا الواجب .

والظاهر ان اغنياء الغرب اكثر استعداداً لادراك هذا الواجب من اغنياء الشرق ولا غروفان الغرب اسبق من الشرق في كل الامور . فان اغنياء اميركا قد بنوا في تلك الاقطار اهم الكليات والمكاتب والحدائق العمومية . وهباتهم تمطر على الحكومة والجمهور والعلماء والكتاب الذين هم خدمة الجمهور احياناً كوابل واحياناً كطل . واما اغنياء اوربا فانهم مقصرون عنهم ولكنهم اخذوا ينتبهون لذلك . وآخر ما روي عنهم بهذا الشان وصية الفرد نوبل الذي اوصى لعلماء الارض بثروته البالغة مليوني جنيه ودخلها السنوي ٥٠ الف جنيه توزع في كل عام على النابغين من العلماء مقسومة الى خمس جوائز . وبما انه سيدور في كل عام ذكر هذه الجوائز راينا من الفائدة نشر ترجمة الرجل وتفصيل جوائزه وذكر العلماء الذين نالوها في هذا العام . وبينما كنا نفكر في ذلك وردتنا الترجمة الاتية فاكتفينا بها

الفريد نوبل وجوائزه السنوية

بقلم جناب الاديب الياس افندي خليل عيساوي

كثر تحدث الناس بامر جوائز نوبل وتشوق كثيرون لمعرفة هذا الرجل الذي وهب كل ما ملكت يداه لمساعدة العلم . فرأيت ان اوافي قراء « الجامعة » بتاريخ حياته معتمداً على مجلة المجلات الانكليزية

ترجمته

ولد الفرد نوبل في مدينة استوكهلم قاعدة البلاد الاسوجية في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٣٣ . وورث الجد والاقدام عن ابيه عمانوئيل نوبل الذي كان من اشهر رجال عصره . وكان سبب شهرة ابيه انشاءه في روسيا معملاً لبناء سفن التوربيد ربح منه ارباحاً طائلة ثم قدومه بعد حرب القريم الى استوكهلم مسقط راسه حيث وجه كل اهتمامه الى اختراع المواد المتفجرة . وكان البارود الاعتيادي هو المادة المتفجرة لوحيدة المستعملة بين الناس . ومع ان النيتروغلسرين (مركب من ملح الغلسرين والحامض

النيتريك) كان قد اخترع في فرنسا قبل عدة سنوات لكن الناس كانوا يتخوفون منه لتعدد حوادث انفجاره . فجعل نوبل يسعى في تحسين تلك المادة ومنع انفجارها فنجح بعض النجاح بين سنة ٦١ و٦٢ . ثم عهد بالعمل الى ابنه الاكبر صاحب الترجمة فابتدأ اذ ذاك الفرد نوبل دوره المهم في تاريخ المنفجرات . الا انه كان يرى ان مادة النيترو غليسرين كانت لا تزال سريعة الانفجار والفتك بالارواح في معمله وذلك مما هيج الراي العام على هذه المادة فعمد الى تحسينها بحيث تقل اخطارها فتم له ذلك في عام ١٨٦٧ واعلن للناس انه توفق الى اختراع « الديناميت » بمزج مركبه الاول مع مادة رملية مركبة من قشور حيويات صغيرة تدعى الانفيوزوريا . فجرب كثيرون هذه المادة الجديدة فتحققوا قلة خطرها ورأوا ان الحرارة والرطوبة لافعل لها فيها . فربح منها مخترعها مالاً وافرًا . ولم يكتف نوبل باختراع الديناميت وصنعه في معامله بل كان يتقن البارود بلا دخان و يصنع المدافع و يشتغل بالاشتراك مع احد اخوته في تصفية زيت البترول في ماكو بالقوقاس . وقد بلغ عدد العمال عنده في العشر سنين الاخيرة من حياته ١٢٠٠٠ عامل ولم يحدث في كل مدة شغله ادنى اعتصاب او شكوى منهم وهذا يدل على حسن معاملته لهم

وصرف نوبل عدة اعوام في باريز ثم انتقل منها الى سان ريمو فبنى لنفسه « عشاً » جميلاً فيها . وبقي عازبًا طول حياته جاريًا على قول القائلين بان ارتباط المرء بالعائلة يثبط همته و يضعف عزيمته و يقلل نفعه للمجتمع الانساني . وقد توفي في سنة ١٨٩٦ وهو في الثالثة والستين من العمر وآخر ما عمله في حياته مساعدة للعلم هو دفعه نصف نفقات الرحالة الاسوجي اندريا الذي قصد القطب الشمالي راكبًا منطادًا فلقي حتفه في تلك الاصقاع المتجمدة

الثروة والارث

وكان شغل نوبل الوحيد في اواخر سني حياته كما هو شغل من كان غنياً بدون عقب مثل سسل رودس وكارنيجي — تدبير طرق يصرف بها الاموال التي جمعها في حياته — وتقدر بمليوني جنيه — بحيث تعود بفوائد عظمى للجنس البشري . وكان يكره انتقال المال بالارث لاقربائه وكثيرًا ما كان يقول لهم « لا تتكلوا على اموالي فانها سوف تذهب لغيركم بعد وفاتي » وقال يومًا لاثنين من اخص اصدقائه : « علمتني التجارب ان الثروة التي ينالها الانسان بالارث لا تجلب له السعادة الحقيقية وتكون واسطة لاماتة كل قواه العقلية . واني انصح لكل غني بان لا يترك لاقربائه سوى النزر اليسير من ماله بحيث

يكفيهم في بدء حياتهم لتدبير اشغال يتعيشون منها والا فتكون ثروته قد اماتت استقلالهم الذاتي الذي يحصلونه بجدهم »

وقال ايضاً لاحد محدثيه « انني لا اريد ان اترك شيئاً من مالي لمن يقدر على الشغل فاعوده على البطالة والكسل ولكني اهب منه بكل سرور كل من يسعى في ترقية البشر ولا يكون ينقصه غير المال »

تقسيم الجوائز وتوزيعها

وعلى هذه القاعدة الشريفة كتب الفرد نوبل وصيته الآتيه

تقسم فائدة اموالي الى خمسة اسهم متساوية توزع سنوياً فيعطى سهم منها في كل عام لاعظم مكتشف او مخترع في الطبيعيات . وسهم لمن يخترع اعظم اختراع في الكيمياء او يفوق على اقرانه فيها في ذلك العام . وسهم للمجيد او المكتشف في الطب والفيسيولوجيا . وسهم لمؤلف افضل كتاب ادبي فلسفي . وسهم لمن يكون اكثر سعياً في تاييد السلم العام وابطال الحروب او تخفيف شرورها

اما توزيع هذه الجوائز فيكون كما ياتي

تعطي اكاذمية العلوم الاسوجية الجائزة الاولى والثانية . وتعطي كلية كارولين في استوكهلم الجائزة الثالثة واكاذمية ستوكهلم الرابعة واما الجائزة الخامسة فتمنحها لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء ينتخبهم البارلمان النروجي . ولا اخصص جوائزي بامة من الامم او بدين من الاديان لكي يعلم الجميع ان العلم الصحيح لا تغيره الظواهر ورغبة في ان لا ينالها الا المستحق

والذي حدا بنوبل لان يكتب هذه الوصية هو ما شاهده في مدة حياته من ان مجازاة العلم قليلة للغاية وان اكثر العلماء والمخترعين يعيشون ويموتون فقراء فلا يستفيدون من اختراعاتهم شيئاً وتذهب كل الارباح الى جيوب اصحاب المعامل . وقد خصص الجائزة الاولى والثانية بالطبيعة والكيمياء لشغفه بهذين النوعين ولانهما مورد ثروته وخصص الثالثة بالطب لانه كان يحب باستور محبة شديدة وجعل الجائزة الرابعة للادب والفلسفة لانه اولع في آخر حياته بمطالعة الشعر وكتب الفلسفة والادب اما الجائزة الخامسة فقد جعلها للسلم . ومن الغريب ان مخترع الديناميت وصاحب معمل المدافع والمتفجرات يطلب السلم . وقد ظن البعض ان ضميره وبخه على اختراعاته الجهنمية فجعل الجائزة الخامسة لكي يتخلص من وخز الضمير ولكن هذا الظن في غير محله لان نوبل كان يعتقد انه كلما زادت معدات

الحرب خطرًا قل عدد الحروب

﴿ الفريد نوبل واضع الجوائز ﴾

وربما كانت تغيرت الوصية لو قام اقرباؤه يطالبون بالمال ولكن ابن اخيه لم يشأ مخالفة وصية عمه. اما التركة فمنها نقود محفوظة في بنوك انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج ومنها اراضٍ واسعة في فرنسا وايطاليا ونروج . ويقدر الدخل السنوي بخمسين الف جنيه يُصرف منها ١٠ الآف جنيه نفقات فيبقى اربعون الف جنيه فيخص كل جائزة ٨ الاف جنيه . ويجب في توزيع الجوائز ان تهدى لاكثر اولئك العلماء اجادة في خلال السنة ويُعطى مستحقو الجائزة علاوة عن المال شهادة ومدالية ذهبية عليها رسم الفرد نوبل صاحب هذه الجوائز وكان موعد تفريق الجوائز للمرة الاولى في ١٠ دسمبر الجاري» اه

﴿ العلماء الذين نالوا هذه الجوائز في هذا العام ﴾ نقول وفي ١٠ دسمبر الجاري اجتمعت الاكاذميات التي تقدم ذكرها والبرلمان الاسوجي باحتفال عظيم حضره جلالة الملك والملكة وولي العهد ووزعوا هذه الجوائز بالاقتراع . فنال العالم فان توف الالماني جائزة الكيمياء والعالم برهن جائزة الطب والعالم رنتجن جائزة الطبيعيات والمسيو سولي بريدوم الشاعر الفرنسوي جائزة الادب والفلسفة . واما جائزة السلم فقد قُسمت بين المسيو فردريك باسي الفرنسوي والمسيو دريان السويسري . وكل جائزة من هذه الجوائز تبلغ قيمتها ثمانية الاف جنيه كما تقدم

فردريك باسي — اما المسيو فردريك باسي الذي نال نصف جائزة السلم فان الناس يلقبونه في فرنسا رسول السلام وهو شيخ قطع مراحل العمر في دعوة الناس الى الزامية التحكيم لفصل المشاكل التي تقوم بينهم . فانه لا يسمع بخلاف بين الدول حتى يمدّ يده

و يرفع صوته . وقد تداخل بين وزارتي الحرب في فرنسا والمانيا قبل اعلان الحرب في سنة ١٨٧٠ لمنع حدوثها فلم ينجح . ورام مقابلة بسمارك فتعذر عليه ذلك . وبعد هذه الحرب وقعت مشاكل جديدة بين فرنسا والمانيا وكادت تحدث حرب ثانية لهياج افكار الشعب الفرنسوي فزار المسيو باسي ادارات الجرائد الفرنسوية ليحملها على تسكين هياج الشعب فاجابه يومئذ مدير جريدة الطان اننا قد فقدنا كل سلطة على الافكار فقال له جربوا ذلك فجربوا ونجحوا في اخماد الهياج . وهكذا زال سبب الحرب

ولما شبت حرب الترانسفال كتب المسيو فردريك باسي كتاباً الى المرحومة فيكتوريا ملكة الانكليز يقول لها فيه انه على ثقة بان الملكة تكره هذه الحرب وان وزراءها اجبروها عليها ولذلك فهو ينصح لها ان تتنازل عن الملك ولا تلطخ ملكها بالدماء لعله يكون في ذلك تنبيه للشعب الانكليزي من سباته . فلم يرده جواب هذا الكتاب

و بالجملة فان المسيو باسي رسول التحكيم في العالم الآن يدعو اليه كل المتخالفين . وهو رئيس لجنة الزامية التحكيم في باريز . ولهذه اللجنة فروع في بلاد اخرى

المسيو دريان — اما المسيو دريان الذي نال النصف الثاني من جائزة السلم فهو الرجل الكريم الذي انشأ جمعية الصليب الاحمر لمساعدة المرضى والجرحى في ساحة الحرب . وسبب ذلك ان المسيو دريان حضر واقعة سولفرينو بين الفرنسويين والنمساويين في حرب تحرير ايطاليا فهالته حالة الجرحى والقتلى في ساحة الحرب . وكان عدد هؤلاء في هذه الواقعة ٤٠ الف جندي . فعاد الى اوربا وكتب سفراً عنوانه « تذكار سولفرينو » وصف فيه تلك الحالة الهائلة وصفاً مؤثراً . ثم طاف اوربا كلها يدعو الانسان الى الرفق بالانسان في ساحة القتال . فقابل الملوك والعظماء وكتاب الجرائد واخذ يحرك الهمم حتى تحركت فعقدت الدول في سنة ١٨٦٣ مؤتمراً في جنيف قررت فيه شروطاً كثيرة في غاية الرفق والانسانية . وهو مؤتمر جنيف المشهور . ومن جملة هذه الشروط اعتبار الجرحى والممرضين واطباء جمعية الصليب الاحمر في ساحة القتال مسالمين لا محاربين اي على الحياد مع اي فريق كانوا . وكان دريان قد انفق كل ثروته في تاسيس جمعيات الصليب الاحمر حتى افتقر . ولو لم يُمنح جائزة نوبل الآن لمات شيخاً فقيراً منسياً من هذه الانسانية التي وهبها كل ماله وخدمها انفع خدمة

فان توف — وفان توف حائز جائزة الكيمياء رجل المانى اصله من هولانده وهو عالم

كيماوي مشهور ولكنه ليس بشهرة برتلو . وقد اشتهر هذا العالم باكتشاف كان له دوي شديد في عالم العلماء وهو اثبات ان الفحم والمتبلورات مؤلفة من دقائق كل واحدة منها جسم مستقل بنفسه و بتركيبه وهندسته . ولقد بنت مدينة امستردام في عام ١٨٩١ لفان توف معملاً ومنزلاً وتعهدت له بكل ما يحتاج اليه لتصرفه عن الذهاب الى مدينة لبزيج التي كانت تستدعيه ولكن مدينة برلين فويت عليها و بنت له معملاً عظيماً يشتغل فيه حينما يريد وجعلته استاذاً في احدى مدارسها العليا يلقي فيها الدروس على ارادته غير مقيد بزمان . وهو الآن مقيم فيها هنيء البال

سولي بريدوم — اما المسيو سولي بريدوم حائز جائزة الادب الكتابي والفلسفة فهو شاعر مشهور بسمو الافكار وعضو من اعضاء الاكاذمية الفرنسوية . ولما ورد الخبر بنيله جائزة الادب تواردت عليه الرسائل من كل جهات فرنسا . قال المسيو بريدوم لاحد محدثيه « واصحاب هذه الرسائل هم من رصفائي الشعراء ولا سيما المبتدئين منهم وكلهم يطلبون فيها مساعدات تمكنهم من اتمام دروسهم . وقد بلغ الى الآن قيمة المطلوب مني اضعاف اضعاف الجائزة . منهم واحد يقول انه يكتفي مني بمائة فرنك في كل عام اعينها له ليطالع بها اشهر المؤلفات الفرنسوية » فسأله محدثه فماذا عزمت ان تصنع بالجائزة . فاجاب انني سابذل جهدي في مساعدة المبتدئين من الكتاب ولا سيما رصفائي الشعراء لاظهار مواهبهم وتمهيد الطريق امامهم

رنتجن — اما رنتجن حائز جائزة الطبيعيات فهو عالم طبيعي المانى مشهور باكتشافه المعروف باشعة رنتجن . وقد اكتشف هذا الاكتشاف في عام ١٨٩٥ فكان له طنين في كل البلاد . و بواسطة هذه الاشعة يستطيع الجراح ان ينظر في داخل جسم الانسان كما ينظر في صندوق يفتحه . بل ان هذه الاشعة صارت تغني عن فتح الصناديق في الجمارك لان الناظر بواسطتها ينظر ما في الصندوق دون فتحه . وسن رنتجن اليوم ٥٦ عاماً وقد ولد في لينب من اعمال بروسيا

هذا وسنسمع دائماً في شهر دسمبر من كل عام بجوائز نوبل واسماء الذين ينالونها من العلماء . ولكن كثيرين يرون ان التوزيع الاول دل على ان الموزعين لا يوزعونها على مستحقيها . فان الكونت تولستوي والمسيو برتلو واللورد سبنسر واللورد كلفن والدكتور كوخ والدكتور رو لم ينالوا شيئاً منها مع انهم اشهر من الذين نالوها . اما تولستوي فانه نال ثلاثة اصوات

على جائزة الادب الكتابي والفلسفة التي نالها المسيو سولي بريدوم فكتب اليه جمهور من كتاب الاسوجيين وعلمائهم كتاباً يقولون فيه « انهم يعتبرونه شيخ الفلسفة والادب الكتابي في هذا الزمان وان لم ينل الجائزة »

هذه جوائز العلماء في الغرب وهذا قدرهم في تلك البلاد . اما في الشرق عندنا فانه يظهر ان جوائز ارباب العلم لا تكون الا من انفسهم . لانه لما قيل انه قد عُين مائتا جنيه لمن يؤلف احسن كتاب في تاريخ مصر سألنا فوجدنا ان هذا التعيين من ادارة رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء

الحرارة في جوف الارض

﴿ قياس فعلي جديد ﴾

يقول العلماء ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المواد التي فيها ولكنهم لم يختبروا هذا القول قبل الآن اختباراً ينفي كل ريب ويعين درجات الحرارة المذكورة . وقد نقلت المجلات العلمية الواردة في هذا الاسبوع ان حكومة بروسيا قد قامت بهذا الامر خير قيام لفصل الخلاف بين العلماء . وتفصيل ذلك انها بدأت منذ عام ١٨٩٣ في حفر ثقب في مدينة باوشوويتز قرب راتيبور في بروسيا وقد ظل الحافرون يحفرون بتأنٍ وصناعة حتى هذا العام فبلغوا الى عمق ٢٠٠٤ امتار في جوف الارض وهو اعمق ثقب حفره الحافرون الى اليوم . اما الامر الذي اكتشفوه في هذا الحفر فهو ان الحرارة في جوف الارض تزداد كلما ازداد الحفر . وقد قاسوا معدل هذه الزيادة فبلغت درجة واحدة من مقياس سنتيغراد في كل ٣٣ متراً و١٠ سنتيمترات . وقد بلغت الحرارة عند فوهة الثقب على سطح الارض ٦ درجات وبلغت في قعر الثقب في جوف الارض ٦٠ درجة فتكون الحرارة قد زادت ٥٤ درجة . اما استدارة هذا الثقب فهي ٨٠ ميليمتراً

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب هذه الحرارة لاختلافهم في سبب نشأة الارض . فمنهم من يقول ان الحرارة في جوف الارض باقية من حين تكون هذه الكرة بانفصالها عن الكتلة الشمسية . ومنهم من يقول غير ذلك . والله اعلم

بولونيا والترانسفال

﴿ حديث حديث يذكر بالحديث القديم ﴾

بولونيا اخت الترانسفال في الحزن · نشاة بولونيا وتاريخها · اسباب هلاكها · ثورانها وبسالة ابنائها · دائرة الترانسفال والدوران فيها · الامل في الحرية عند الشعوب المستعبدة

بولونيا والترانسفال · او الترانسفال و بولونيا : مَن جمع هاتين الكلمتين في سطر واحد وهاج شجنًا قديمًا في نفس الانسانية · من اعاد ذكرى تلك الدولة البولونية التعيسة التي قتلتها بروسيا والنمسا و روسيا منذ مائة عام كما يقتل الجيش الانكليزي جمهورية الترانسفال في هذه الاعوام — لقد هاج هذا الشجن واعاد تلك الذكرى المؤلمة اطفال صغار من نسل تلك الامة سئموا من احناء الاعناق تحت نير الاستعباد السياسي فرفعوا رؤوسهم اللطيفة الصغيرة يحتجون برفعها على حقهم المسلوب وحريتهم المقتولة · وقبل تفصيل ذلك يجدر بنا ان ناتي على شيء من تاريخ بولونيا وتفصيل اقتسامها

﴿ بولونيا وقتلها ﴾

بولونيا دولة قديمة كانت واقعة بين روسيا والنمسا وبروسيا · واسمها مشتق من كلمة « بولاك » وهي في السلافية « السهل » لكثرة السهول فيها · اما اصل سكانها فهم من السلاف ايضًا وكانوا في بدء امرهم منفرقين قبائل قبائل كالعرب قبل الاسلام وهم يعيشون في شمالي اوربا حتى جبل الالب · واما اسماء قبائلهم فمنها المازوفيون والكروباتيون والبورموريون والسيلزيون والبولونيون · وهذه القبيلة الاخيرة هي التي اول ما خطر لها انشأ مملكة بتوحيد القبائل السلافية كلها · ففكر الجامعة السلافية اذًا فكر بولوني لا رومي

وكان عدد سكان بولونيا في عام ١٧٧٩ اي قبل الاقتسام الاخير ١١ مليون نسمة · اما اليوم فان عددهم في الاحصاء الاخير يبلغ اربعين مليونًا موزعة في الممالك الثلاث التي اقتسمتها · والبولونيون في بروسيا والنمسا اكثر عددًا واقوى ساعدًا منهم في روسيا

اما بدء اجتماع البولونيين فهو بدء تنصرهم · فان اول زعيم لهم يعرفه التاريخ هو الزعيم بياست الذي يلقبونه الدوق ميسكو وقد اقترن هذا الدوق في عام ٩٦٥ بالاميرة ديبراوفكا

ابنة دوق بوهيميا فجعلته زوجته هذه يترك الوثنية ويعتنق الديانة الكاثوليكية . وربما كان في هذا الامر قضاء على بولونيا من اول نشاتها لان اعناق البولونيين الكاثوليكية جعل بعد ذلك بينهم وبين جيرانهم الروس الذين اعتنقوا الارثوذكسية حرباً للموت . ولو ان هذه الصدفة التي جعلتهم يعتنقون الكاثوليكية جعلتهم يعتنقون الارثوذكسية بدلاً منها فربما كانوا حفظوا حياتهم الى الآن والفوا مع جيرانهم الروس دولة عظيمة لم يرَ التاريخ مثلها بدلاً من ان تقتسمهم الدول التي تجاورهم

ومنذ هذا الزواج عظم شان البولونيين . وفي عام ١٠٠٠ للميلاد زار الامبراطور اوتون العظيم امبراطور المانيا بولسلاد نجل الزعيم ميسكو الذي تقدم ذكره ورفع عن راسه تاجه الامبراطوري ووضعه على راس بولسلاد علامة على انه صار من اصدقاء الامبراطورية . ثم اشتد ساعد بولسلاد فحارب الالمانيين والبوهيميين وكان اول زعيم بولوني هاجم الروس فوصل في غاراته عليهم الى مدينة كييف واستولى على اقليم تشرفنسك وعين اسقفيات في بلاده ثم نادى بنفسه في عام ١٠٢٤ ملكاً على بولونيا . وكانت روسيا لم تعتنق الديانة المسيحية بعد فرغب هذا الملك في دعوتها اليها بالقوة . وكان شديد الشكيمة قوي السلطة والشعب يطيعه ويحبه لقوته وصرامته . ولكنه من سوء حظه امر بقتل احد الاساقفة ويدعى ستانيلاس فغضب الشعب عليه فاضطر الى الفرار من بولونيا وترك مشروعه الرومي وربما كانت هذه الحادثة قد غيرت تاريخ بولونيا كله كما تقدمت الاشارة

اما خلفه فقد كان ضعيف السلطة ولذلك بداء في ايامه الداء الذي اودى ببولونيا وهو الفوضى في الاحكام وضعف السلطة الحاكمة . فقد تالف في بولونيا في ذلك العهد احزاب كثيرة من النبلاء والاكليروس والجند وقويت سلطة هذه الاحزاب حتى صارت دولة في الدولة . ولم ينحصر ذلك في هذا الامر بل ان بولونيا انقسمت قسمين فقسم سمي بولونيا الكبيرة وهو في الشمال الغربي يحكمه امير من نسل بياست الزعيم الاول وقسم سمي بولونيا الصغيرة وهو في الجنوب الغربي يحكمه امير آخر من نسل بياست المذكور ايضاً . وما زالت هاتان الامارتان في منازعات وحروب حتى كانت غارة التتر والمغول على بلادهما في عام ١٢٤١ فاتحدت الاماراتان وثبتتا في وجه القبائل التترية ثباتاً عجيباً ادهش الناس وانقذ اوربا كلها من الهلاك . اذ لو قهر التتر والمغول البولونيين فربما كان السيل التتري جرف اوروبا كلها

وبعد ذلك رات الامارتان ضرورة اتحادهما لا سيما وان المانيا بدات تقوى وتتحرك

نحوها والروس كذلك . فعادتا الى الاتحاد وقررتا ان كل واحدة منهما لا تعين اميرها الا بموافقة الامارة الاخرى ثم عين مجلس نيابي لمراقبة اعمال الملك في وقت كان يجب فيه تقوية السلطة الملكية لا اضعافها . وكان في اكثر المدن مجالس نيابية صغيرة لا تقدر الحكومة على صنع شيء فيها او ادخال امر جديد اليها من غير موافقتها . وقد بقيت بولونيا في هذه الفوضى الى ما شاء الله

اما الدول التي حولها فانها كانت تكبر شيئًا فشيئًا فان الروس اخذوا يؤلفون دولة . وبروسيا كذلك . وتركيا كانت تتهدد بولونيا فاصبحت هذه المملكة فريدة في وسط جيرانها فخطر لها ان تحالف هنغاريا وبوهيميا لمقاومة تركيا وروسيا والمانيا ولكن نظامها السياسي كان يحول دون اي عمل تريد عمله لتشعب الآراء والسلطات فيها . وكان شانها يومئذ شان النمسا والمجر اليوم من حيث الاختلاف والنزاع على المصالح السياسية ولذلك يتنبأ الساسة اليوم بمصير النمسا الى ما صارت اليه بولونيا

ولقد احس بهذا المصير كثيرون من عقلاء البولونيين في ذلك الزمان منهم اورزيشوسكي وكريتيوس في اواخر القرن السادس عشر ولكن اصواتهم ذهبت في الهواء وفي عام ١٦١٢ شبت نار الحرب بين بولونيا واسوج فضعفتا كلتاهما واستفادت روسيا من ضعفهما . الا ان سيجيسمون ملك بولونيا تداخل على اثر ذلك في شؤون روسيا الداخلية ورام تعيين ابنه ولاديسلاي قيصرًا لروسيا فرفض الروسيون مداخلة الاجانب في شؤونهم وعينوا قيصرًا منهم . وفي اثناء ذلك اخذ البولونيون يضطهدون الارثوذكس في بلادهم فتداخلت روسيا لحمايتهم وثار قسم من بولونيا عليها باغراء القوزاق الذين فيها . وحينئذ بلغ الاضطراب في بولونيا اشده واستفحل امر الاحزاب الى حد لم يسبق له نظير . فان مجلس النواب قرر انه لا يجوز للحكومة ان تعمل اي عمل كان اذا عارض فيه بضعة من الاعضاء فصار الملك اسمًا بلا مسمى . ولكنه كان يحل مجالس النواب كلما عارضته . فنشاء عن ذلك اختلال عام واخذ الشعراء البولونيون يتنبأون بسقوط دولتهم ولا غرو فان الشعراء كالطيور تعلم بالزوبعة قبل حدوثها . وقد قال الشاعر تواردوسكي « نخشى اننا لكثرة ما نحل المجالس ننتهي الى حل دولتنا » وقال كوشوسكي « ان الله صنع العالم بكلمة واحدة وهي « كن » اما نحن فاننا سنفقد بولونيا بكلمة واحدة وهي « اعتراض مجلس النواب » وقال مورزتين « ماذا تحتاج بلادنا . امجدًا عسكريًا ام سلاحًا ام خبزًا . كلا فلديها شيء كثير من هذا . ولكنها تحتاج الى حكومة »

وفي هذا الحين صار لروسيا في فارسوفيا قاعدة بولونيا سلطة عظيمة حتى انه صار السفير الروسي يدير مجلسها النيابي كيفما يشاء وعظم اختلاف العناصر البولونية وغير البولونية في داخل البلاد فاتفقت عليها روسيا وبروسيا وكان الملك فردريك ملك بروسيا اول من اقترح اقتسامها للاستراحة من اضطراباتها الداخلية والخارجية فرضيت روسيا به واقنع فردريك النمسا بوجوب ذلك فجرى اول اقتسام في ٢٥ يوليو من عام ١٧٧٢ . اما البولونيون فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولكنهم لم يكونوا قد بنوا حصوناً في بلادهم ولا انشئوا جيشاً منظماً ولا اعدوا اسطولاً وكانوا متفرقي الكلمة والقوى فدارت الدائرة عليهم . وفي عام ١٧٩١ عادت بروسيا الى بولونيا فجرى اقتسام ثانٍ وفي عام ١٧٩٥ جرى اقتسام ثالث كان به القضاء على حريتها واستقلالها

اما الاهوال التي لاقاها البولونيون فانها صارت مضرب المثل فانهم لما تحققوا زوال استقلالهم قاموا يطلبون الموت من كل صوب وحدب فذبحت نساؤهم وصبيانهم وشيوخهم في الثورات التي ثاروها على اسيادهم ولكن دماءهم ذهبت هدرًا ولم تغنِ شيئاً . ولما جاء نابوليون الاول انخرط كثيرون منهم في جيشه وحاربوا روسيا والمانيا والنمسا مستميتين فثاروا لانفسهم اشد ثأر ونبغ منهم كثيرون من اكابر القواد . وكان نابوليون يعدهم بانقاذ بولونيا واعادة استقلالها اليها ولكنه لم ينجز وعده

اما الدول التي اقتسمتها فقد صرفت همها الى افناء لغتها وتقاليدها القديمة لتنسيها ماضيها ولذلك تحرم التعليم باللغة البولونية . وقد حدث في هذا العام انه صدر امر الامبراطور غليوم بتدريس التعليم المسيحي في المدارس الابتدائية البولونية باللغة الالمانية بدلاً من البولونية فتمنع صغار البولونيين في مدينة وارشين من درس التعليم المسيحي بالالمانية فاخذهم المعلمون فجلدوهم حتى ادموهم ثم سجنوهم في المدرسة . فلما رات ذلك امهاتهم هاجمن المدرسة وانقذن اولادهن منها بعد رجمها بالحجارة . فقبض البوليس على بعض النساء والرجال وحكم عليهم بالسجن عقاباً لهم فهاج لذلك البولونيون في روسيا والنمسا انتصاراً لاخوانهم في بروسيا وتظاهروا مظاهرات اهانوا فيها المانيا وسحبوا في الوحل شعار القنصلية الالمانية في فارسوفيا

هذه لمحة من تاريخ بولونيا المسكينة ولا يزال كثيرون من ابنائها متفرقين في اقطار اوربا يدعون الى حريتها واستقلالها وفيهم نخبة من العلماء ورجال العقول والاقلام وقد كتب كثيرون من نابغي كتابهم كتباً عديدة في الفظائع التي صُنعت في بولونيا مما

ابكى الجماد وجعل اسم البولوني مقرونًا بالقوة الشهامة وحب الموت في الدفاع عن ذويه ·

﴿الترانسفال وحربها﴾

واما الترانسفال فانها تشبه بولونيا ولا تشبهها · تشبهها من حيث انها ستصير بعد حين الى ما صارت اليه بولونيا ولا تشبهها من حيث انها كانت مستعدة للحرب استعدادًا كافيًا وكانت سلطتها مؤيدة في داخل بلادها ولم يكن فيها شيء من الاضطرابات والقلاقل التي تضعف الممالك والدول ·

ولقد مضى اكثر من سنتين والحرب دائرة في جنوبي افريقيا دون ان يخضع البوير او يضعف لهم ساعد مع ان عدد المحاربين منهم الآن في الترانسفال والكاب واورانج والناتال لا يتجاوز ١٥ الف مقاتل وعدد الجيش الانكليزي اكثر من مائتي الف مقاتل· وهذا ما حدا الناس في الشرق الى تشبيه هذه الحرب « بالموال الافرنجي » الذي لا ينتهي وجعل الناس في الغرب يشبهونها بدائرة يدور فيها الانكليزي والبويري دون ان يدركا نهاية · وهذا التشبيه مرسوم في الرسم الاول فانك تجد فيه دائرة مرسومة وفيها جندي من البوير يدخن غليونه وهو سائر يتبختر ووراءه جندي انكليزي يطارده ويدور وراءه في هذه الدائرة على غير فائدة · وهكذا تدوم الحرب الى ما شاء الله

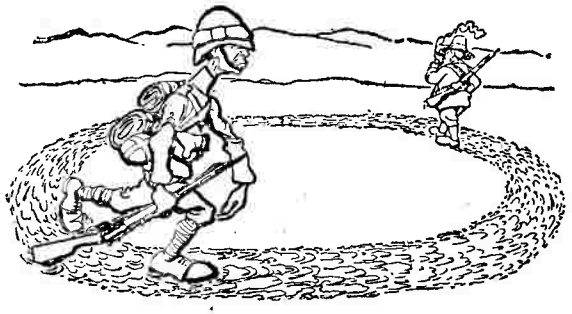

حرب الترانسفال عبارة عن دائرة يدور بها الانكليز والبوير دون ان تنتهي

لكن من يعلم ان الحكومة الانكليزية تنفق على هذه الحرب في كل شهر ١٢٥ مليون فرنك لا بدّ ان يعجب لهذا الصبر الغريب والعناد العجيب وينتظر ان يكون اللورد كتشنر قد جرب شيئًا لانهائها· وفي الحقيقة ان اللورد كتشنر قد صنع شيئًا من هذا القبيل · وهذا الشيء صغير بحد ذاته كالحركة الصغيرة التي قهر بها اللورد روبرتس البوير في وقائعهم معه

وبيان ذلك بالاختصار ان قواد حرب الترانسفال قبل اللورد روبرتس كانوا يهاجمون البوير مواجهةً فيقف البوير في وجوههم ويطلقون عليهم نارًا حامية حتى يرجعوهم· ويذكر القراء ان الجنرال بولر هاجمهم ثلاث مرات عند نهر التوجيلا لانجاد لادي سمث المحصورة

وفي المرات الثلاث كانوا يردونه برصاصهم . فلما جاء اللورد رو برتس وهاجمهم في المرة الاولى من جهات كمبرلي المحصورة ثبتوا في وجهه وحاولوا صدّه ولكن اللورد رو برتس قائد نبيه فانه ما تحقق ثباتهم في وجهه حتى مد خطوط جيشه ورام ان يدور من ورائهم ليوهمهم انه يبغي الاحاطة بهم . فلما ابصر البوير هذه الحركة عادوا القهقرى خوفاً من الانحصار .

وهكذا اكتشف اللورد رو برتس سر النجاح معهم فصار كل ما لقيهم لا يهاجمهم ولكنه يمد خطوط الجيش ويُظهر انه يروم الاحاطة بهم فيفروا من بين يديه كالعصافير من مخالب الباشق . وقد اسر الجنرال كرونجه وجيشه امام كمبرلي لانه لم يستطع الفرار سريعاً قبل احاطة فرسان الجنرال فرنش بجنوده

هذا هو السر الذي اكتشفه اللورد رو برتس في هذه الحرب وكان مفتاح نجاحه ولكن بعد ان عاد اللورد روبرتس الى انكلترا وتفرق البوير شراذم شراذم لحرب المناوشات لم يعد ذلك السر نافعاً . فلجأ اللورد كتشنر الى امر آخر وهو بناء الحصون والمراكز العسكرية في السهول والقفار لتلجأ الجنود الانكليزية اليها وتحارب شراذم البوير منها . وهذه المراكز مبنية فوق آكام من حجارة على مسافة ميلين او ثلاثة بعضها عن بعض واليها ينسب اللورد كتشنر ما ناله من النجاح في المدة الاخيرة . ويقول العارفون ان البوير لا يخضعون ويسكنون حتى تمتلئ اراضي بلادهم سهولها وجبالها بحصون كهذه الحصون . وقد رسمنا في الشكل الثاني احدها

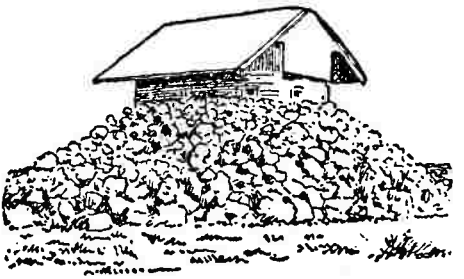

المراكز العسكرية الجديدة التي يُرجى اخضاع البوير بها

ومع ذلك فاذا خضع البوير الآن فان مثال بولونيا التي تنتفض وتنتقض من حين الى حين يدل على صدق قول المتنبي

وان الجرح ينفر بعد حين اذا كان الشفاء على فساد

وهذا يذكرنا قول من قال « لا يجب ان تقطع الامم المستعبدة املها من الحرية مهما طرأ عليها لان المستقبل مثقل بالفواجئ والمباغتات . ولكن عليها ان تحفظ نفسها اي ان تصون لغتها وعاداتها ولا تفنى في سيدها . فالامر المهم هو ان تبقى ثابتة كامةٍ واما حريتها فتاتي نوبتها في المستقبل الابدي »